بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية العراق

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
&SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF AL-QADISYA
COLLEGE OF EDUCATION

AL-QADISIYA JOURNAL FOR
EDUCATIONAL SCIENCES

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
مجلة القادسية في الآداب
والعلوم التربوية
التصنيف الدولي : ISSN 1992-1144

العدد /٢٠٨
التاريخ /١٠/١١/ ٢٠١٦ م

إلى / ا.د. سعاد كريدي كنداوي المحترمة
علي حسين حمادي المحترم

م/قبول نشر

تحية طيبة ...
يسرهيأة تحريرمجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية أن تعلمكم بقبول نشر بحثكم الموسوم بـ:
" المقبولية في الخطاب القراني السور المدنية انموذجا " في الاعداد القادمة .

أ. د. سرحان جفات سلمان
رئيس التحرير
١١/١٠/٢٠١٦

نسخة منه إلى:
- أمانة التحرير.
- الصادرة .
- وحدة الرقابة.

البريد الالكتروني: journal of alaqadisia@yahoo.com
journal of alaqadisia@h

المقبوليّة في الخطاب القرآنيّ

السور المدنيّة أنموذجاً

بحث مقدّم من

أ . د . سعاد كريديّ كنداويّ

كليّة الآداب / جامعة القادسيّة

عليّ حسين حمّادي

كليّة الآداب / جامعة القادسيّة

الملخّص :

المقبوليّة هي المعيار السادس من المعايير النصّيّة ، التي وضعها (روبرت دي بوجراند) للنصّ ، وتتعلق بموقف متلقي النصّ عند سماعه ، أو قراءته له . ويرتبط هذا المعيار ارتباطاً وثيقاً بالمعايير الأخرى ، وخاصّة السبك ، والحبك . وكانتْ المقبوليّة عند العرب – قبل نزول القرآن – تُعرف من خلال مراعاة الكلام لمقتضى الحال . أمّا بعد نزول القرآن ، فكان البحث عن اللمسة البيانيّة ، ومحاولة فهم النصّ الكريم ، وتأويله ؛ لإظهار جوانب الإعجاز ، والجمال فيه . ويختلف النصّ القرآنيّ عن باقي النصوص الأدبيّة في كون معيار القبول لتلك النصوص مرتبطاً بمجموع الدلالات التي يطرحها النصّ بشرط تماسكها ، وتحديدها بعيداً عن الاحتمالات الدلاليّة . في حين أنّ النصّ القرآنيّ يمكن أن تكون كلّ الاحتمالات الدلاليّة مقبولة فيه ، ويتوقف ذلك على الزاوية التي ينظر منها المتلقي ، والمجال العلميّ الذي يبحث النصّ من خلاله ، فضلاً عن ثقافة المتلقي ، وميوله الدينيّة ، والقوميّة ، والمذهبيّة وغيرها.ومن مظاهر المقبوليّة في النصّ القرآني – في سوره المدنيّة- أنّ النصّ الكريم قد راعى حال المتلقي ، فلم يُشرّع القوانين ، والأحكام التي تُنظّم حياة الفرد ، والمجتمع المسلم دفعة واحدة ، وإنّما راعى في الحكم الواحد حالة المتلقي الاجتماعيّة ، والنفسيّة ، فقد استعمل التدرج في الحكم ؛ كي يتقبّل المتلقون الأحكام ، والتشريعات شيئاً فشيئاً . كما استعمل أساليب متنوعة في التشريعات ، فقد يستعمل أحياناً الأمر غير المباشر ، وأحياناً الأمر مع التعليل له ، وأحياناً يكون من خلال إخبارهم بدخولهم فيمَن سبقهم في الحكم . ولعلّ من مظاهر المقبوليّة –أيضاً – أنّهم قرأوا النصّ بقراءات مختلفة ، وكلّها قد أجيزتْ عندهم على الرغم من الاختلاف فيها ؛ لكون النصّ – في مواضع كثيرة –الكريم غنياً بالمعاني التي لايمكن لبشر أن يصل إلى منتهاها ، فكانتْ القراءات القرآنيّة مثلاً لمقبوليّة كلّ قارئ للنصّ بحسب ما أوتي من مقدرة لغويّة ، وعلميّة .

المقبوليّة في اللغة والاصطلاح :

المقبوليّة لغةً(١): قبلَ الشيء قَبُولاً وقُبُولاً . والتقبّل : القبول ، يقال : تقبّل الله منك عملك . والقُبَل : من إقبالك على الشيء ، تقول : قد أقبلتُ قُبَلك ، كأنّك لا تريد غيره ..

المقبوليّة اصطلاحاً : عرّف الشريف الجرجانيّ المقبولات ، بقوله : ((هي قضايا تؤخذ ممّن يُعتقد فيه ، إمّا لأمر سماويّ من المعجزات ، والكرامات ، كالأنبياء ، والأولياء ، وإمّا لاختصاصه بمزيد عقل ، ودين ، كأهل العلم ، والزهد ، وهي نفعة جداً في تعظيم أمر الله ، والشفقة على خلق الله))(٢) . وعرّف الكفويّ القبول ، بقوله : ((هو عبارة عن ترتّب المقصود على الطاعة))(٣) . وعرّف التهانويّ القبول عند الفقهاء ، فقال : ((عبارة عن لفظ صدر عن أحد المتعاقدين))(٤) ، كما عرّفه عند الحكماء ، والمتكلّمين ، بقوله : ((يطلق بالاشتراك الصناعيّ على معنيين : أحدهما مطلق إمكان

الاتصاف بأمر ، سواء كان وجود الموصوف متقدّماً على وجود الصفة بالزمان ، أو لا ، وحاصله الإمكان الذاتي . والثاني الانفعال التجدّديّ ، ويقال له القوة ،والاستعداد أيضاً ، وهو عبارة عن إمكان اتصاف شيء بصفةٍ لم يحصل له بعد))(٥) .

أمّا عند المحدثين ، فالمقبوليّة ((هي معلومات تتعلّق بحكم المتحدّث باللغة الأم على لفظ معيّن بأنه صحيح ، أو غير ملائم ، وهو يخصّ باهتمام علم اللغة ، وفي النحو التوليديّ هي تلك القوانين التي تحاول تحديد الجمل المصاغة بطريقة صحيحة ، وغير الصحيحة في لغة ما))(٦) . وعرّف آخر القبول ، بقوله : ((موقف متلقّي النص حول توقّع نص متماسك ، ومتناسق))(٧) .

المقبوليّة في دراسات العرب القدماء :

كان لظهور الإسلام السبب في إحداث التحوّل الكبير في الحياة العربيّة ، فقد أحدث ظهوره تحوّلاً على مستوى اللغة ، والوعي للعلاقة الوثيقة ، والاتحاد بينهما ، سواء أكان وعي الذات ، أو وعي الآخر/الكون ، وما فيه من الموجودات. وقد أحدث تحوّلاً –أيضاً - على مستوى التلقي ، فبعد أنْ كان العربيّ يصغي إلى الشعر ، والخطب ، أصبح يصغي إلى القرآن . وقد ارتفع شأن اللغة بالقرآن ، وعلتْ به، فكان نظم القرآن صدمةً ثقافيّة – إنْ صحّ التعبير – لهم على مستوى التلقي ، فانشغل الناس بصورة عامّة ، وأصحاب الميول الأدبيّة خاصّة بتلقي النصّ القرآنيّ ، وأين يكمن الإعجاز فيه . فإذا اتفقوا على أنّ اللغة أحد وجوه الإعجاز ، فقد انكبّوا على دراسة النصّ القرآنيّ ، وتفسير آياته ، وتحليل مفرداته ، وجمله . وظهرتْ لأوّل مرّة في تأريخ الفكر العربيّ ظاهرة ثقافيّة ، هي ما أطلق عليه في العصر الحديث اسم التلقي / المقبوليّة (٨). وإذ كانتْ المقبوليّة قبل الإسلام لديهم تأخذ منحًى آخر غير المنحى القرآنيّ ؛ وذلك لأنّها مع النصّ القرآني محاولة للفهم ، والتأويل ، والتفسير ، وبيان اللمسة البيانيّة ، وقد ((اهتمّ البلاغيون بإظهار جوانب الجمال ، والفصاحة في اللفظ القرآنيّ كمظهر للإعجاز البيانيّ ... فالمتكلّم الذي كان مشغولاً ببيان وجوه إعجاز القرآن كان عليه أنْ يكون على معرفة بالأساليب البلاغيّة العربيّة متذوقّاً لها ، كما أنّ البلاغيّ ، أو الناقد الأدبيّ الذي كان مهتماً بتحليل مظاهر البلاغة ، وآلياتها في الخطاب العربيّ ، كان عليه أنْ يعتمد القرآن كسلطة مرجعيّة ؛ لكونه يمثّل بنظمه ، وطرق تعبيره أعلى مراتب البيان ، بل إنّه كان هو منطلق الدراسات البلاغيّة الأولى التي سعتْ لإظهار أوجه تميّزه ، ورفعة أسلوبه ، وبلاغة لفظه))(٩). أمّا قبل الإسلام ، فكانتْ من خلال مراعاتها لمقتضى الحال ، والأعراف اللغويّة ، والتداوليّة . ولعلّ أصدق مثال على ذلك الحادثة المشهورة بين حسان بن ثابت ، والنابغة الذبيانيّ ، وذلك حين انتقد النابغة قول حسان :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

فالنابغة لمْيُجز لحسان استعمال جمع القلّة (الجفنات ، أسياف) في موضع الفخر ، وكان الأَوْلى به استعمال جمع الكثرة ، وهو ما يوافق العرف المتداول لديهم (١٠). فكانتْ رؤية المتلقّي / الناقد أعمق من رؤية المنتج / الشاعر . ولعلّ المعرفة الأدبيّة ، والمقدرة النقديّة عند المتلقي تكون أوسع نطاقاً من قدرات المبدع ، وموهبته الأدبيّة ، فيرى من الثغرات في نص المبدع ما لا يراها المبدع نفسه ، أو لعلّ الشاعر أراد معًنى معيّناً ، فيأتي المتلقي ، فيخرج معًنى لم يكن في حسبان المبدع ، بل يفوق معناه ، وهو ما يثير إعجاب الشاعر ، فضلاً عن أنّه لم يكن قاصداً لذلك المعنى ، وفي الحادثة المروية عن أبي نؤاس خير دليل ، فقد روي أنّه ((مرّ يوماً على حلقة درس ، يتدارسون فيها شعره ، فسمع الشيخ يشرح ، ويفسّر لتلاميذه بيتاً من أبياته الشهيرة ، يقول فيه :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر

فقال الأستاذ شارحاً البيت : إنّ الشاعر أبصر الخمر ، فانتشتْ حاسّة التبصّر ، وشمّها فانتشتْ حاسّة الشمّ ، وتذوقها فانتشتْ حاسّة الذوق ، ولمسها فانتشتْ حاسّة اللمس ، وبهذا بقيتْ حاسّة السمع محرومة من النشوة ، فقال الشاعر : وقل لي هي الخمر ، وبهذا القول انضمّتْ حاسّة السمع إلى بقيّة الحواس المنتشية . وتقول الرواية : إنّ أبا نؤاس –منتشياً بهذا التفسير – دخل على ناقدنا ، فقبّل يده ، ورأسه ، وقال له : بأبي أنت وأمّي ، فهمت من شعري ما لم أفهم))(١١) . وهذا ما لا يُلحظ في الدراسات القرآنيّة الباحثة عن الإعجاز. فالقرآن الكريم كان مقبولاً / تأليفاً حتى من غير المؤمن ، فالكفار قبلوا القرآن الكريم كنصّ يتمتّع بالسبك ، الانسجام ، وأنّه في أعلى درجات البلاغة ، ولكنّهم مع ذلك لم يؤمنوا بالمضمون الذي جاء به ، و ((لقد أثبت البيان القرآنيّ جدارته بصفة الربط بين المتلقي ، والنصّ بوشائج متينة ، وهذا الاستحقاق يكمن في ديمومة ربط المرء بالواقع : الواقع النفسيّ في القدرة على إثارته على مرّ العصور ، فثَبَش مكونات أساسيّة في السلوك البشريّ ، وههنا مخاطبة الخالق لما خلق ، وكذلك الواقع المحسوس في تصوير جزئيّاته في الطبيعة الصامتة ، والمتحرّكة ، والمشاهد المألوفة ، وتقريب ما هو ليس بمألوف بإثارة الحواس ، والبصيرة ، واستدامة صورته الفنيّة هي نتيجة ثبات الحواس ، وتأكيده على ربط الصورة بالحواس ، وهكذا لم يرفض الواقع ، بل نهض به ، ولوّنه))(١٢) ، وخير مثال على ذلك ما رواه الجاحظ ، قالاً : ((بكى ماسروجيه من قراءة أبي الخوخ ، فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ، ولا تؤمن به ، فقال : إنّما أبكاني الشجا))(١٣) ؛ ولذا فقد عدّ الخطابيّ هذا التأثير النفسيّ للنص القرآنيّ وجهاً من وجوه الإعجاز ، قال : ((قلتُ في إعجاز القرآن وجهاً آخر ، ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلاّ الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنّك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ، ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة ، والحلاوة في الحال))(١٤). فنشطتْ الحركة العلميّة ، وبدأوا يدرسون اللغة في كلّ فروعها ، وكانتْ البلاغة ، التي كانوا مفطورين عليها ، تتخذ النصّ القرآنيّ المادة الرئيسة التي تنتقي منه شواهدها ، وتسير نحو التطور ، والنضوج

من خلاله (١٥). وكانوا في بحثهم الإعجازيّ مفسّرين للاستعمال القرآني ، ومفتشين عن المعنى المتحقّق من ذلك الاستعمال ، فالخطابيّ يسوّغ حذف جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾ (١٦)، ويرى في الحذف تحقّقاً للمقبوليّة التي يبينها قوله : ((إنّ الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر ؛ لأنّ النفس تذهب في الحذف كلّ مذهب ، ولو ذكر الجواب لكان مقصوداً على الوجه الذي تناوله الذكر))(١٧) .

ويربط الباقلانيّ مقبوليّة النص بقوة البصيرة ، وكمال المعرفة ، فقال : ((فمَنْ كانتْ بصيرته أقوى ، ومعرفته أبلغ كان القبول منه أسبق ، ومَنْ اشتبه عليه وجه الإعجاز ، أو خفي عليه بعض شروط المعجزات ، وألدّة النبوّات كان أبطأ في القبول))(١٨). ويتابع عبد القاهر الجرجانيّ الباقلانيّ على هذا الرأي ، فيقصر فهم النصّ على مَنْ تتوفر فيهم شروط معيّنة ، إذ قال : ((فإنّك تعلم على كلّ حال أنّ هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف ، لا يبرز لك إلاّ أنْ تشقّه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ، ثمّ ما كلّ فكر يهتدي إلى وجه الكشف عمّا اشتمل عليه ، ولا كلّ خاطر يؤذن له في الوصول إليه ، فما كلّ أحد يُفلح في شقّ الصدفة ، ولا يكون في ذلك من أهل المعرفة))(١٩) ، وكما يضع شروطاً لفهم النصّ ، يضع شروطاً لقبول النصّ ، فقال : ((اعلم أنّ لكلّ نوع من المعنى نوعاً من اللفظ ، هو به أخصّ ، وأولى ، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم ، وهو فيه أجلى ، ومأخذاً إذا أخذ منه ، كان إلى الفهم أقرب ، وبالقبول أخلق ، وكان السمع له أوعى ، والنفس إليه أميل ، وإذا كان الشيء متعلّقاً بغيره ، ومقيساً على ما سواه ، كان من خير ما يُستعان به على تقريبه من الأفهام ، وتقريره في النفوس أنْ يوضع له مثال يكشف عن وجهه ، ويؤنس به ، ويكون زماماً عليه ، يمسكه على المتفهّم له ، والطالب علمه))(٢٠).

ولعلّ ممّا يدخل في هذا المبحث أنّ المنظرين في البلاغة ، والنقد العربيّين ، كان لهم اهتمام خاصّ بالمخاطب في العمليّة الإبداعيّة ، ويتضاعف هذا الاهتمام إذا تعلّق الأمر بالنصّ القرآنيّ ، فـ ((ربّما كان الحاجز الدينيّ أحد العوامل الرئيسيّة (٢١) التي دفعتْ البلاغيّين ، والنقاد إلى هذا الاتجاه باعتبار أنّ البلاغة مراعاة مقتضى الحال ، والحال – عندهم – هي حال المخاطب لا المتكلّم ؛ لأنه ليس من المتصوّر عقلاً ، ودينياً أنْ يتناول هؤلاء المنظرون القرآن باعتبار مصدره ، ولذا اتجهتْ مباحثهم إلى ناحية المتلقي ، ومحاولة ربط الأسلوب بظروفه الاجتماعيّة ، أو الثقافيّة ، أو الدينيّة))(٢٢) .

المقبوليّة في الدراسات النصيّة الحديثة :

القبول أحد المعايير السبعة التي اشترطها (روبرت دي بوجراند) للنص ، و ((يتضمّن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ ذو سبك ، والتحام . وللقبول مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك ، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل ، والمنتج))(٢٣). ويترتب هذا المعيار على قوة الانسجام ، والارتباط بين المعيارين الأول ، والثاني (السبك ، والحبك) ، ويؤدي إلى قبول النص . أمّا إذا حدث خلل فيهما ، فإنّ نتيجة ذلك ليستْ إيجابيّة ؛ لأنّ هذا قد يؤدي إلى تصورات ليستْ إيجابيّة من جهة قبول النصّ ، وإنْ كانتْ النصوص اللغويّة عالية المستوى ، التي تكمن قيمة البلاغة فيها بالكشف عن المعاني الإضافيّة الكامنة وراء الصياغات اللغويّة (٢٤). فالنص القرآنيّ الكريمليس محدّداً بعصر نزوله فقط ، وإنّما الغاية المرجوّة منه هي إيصال الأفكار المبثوثة فيه إلى يوم القيامة ، ابتداءً من العقيدة الدينيّة ، وتلمداً إلى جميع جوانب الحياة الإنسانيّة اجتماعياً ، واقتصادياً ، وسياسيّاً ، وعلميّاً ؛ ولذا فقد نصّ الباري – تعالى – على ذلك في قوله تعالى : **﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** (٢٥).فالنصّ القرآنيّ لم يكن نصّاً آنيّاً لقريش ، والعرب في زمن النبيّ ﷺ بل كان نصّاً عالميّاً مكاناً ، وسرمديّاً زماناً ، فلا ريب أن تكون التراكيب ، والعبارات الموجودة في آياته تحمل معاني يُكشَف عنهافي كلّ عصر ، أو مكان جزءاً منها ، وهي لا تنتهي ؛ لأنّها من لدن كامل العلم ، والحكمة ، ولذا فإنّ أيّ تفسير جديد للنصّ القرآنيّ يأتي بمعنًى جديد غير ما هو مألوف عند القدماء ، يدلّ على تلك المواكبة القرآنيّة للتطور ، فيكشف المعنى المناسب لدرجة العلم ، والمعرفة التي وصل إليها أهل ذلك العصر ، أو تلك البيئة العلميّة . وكلّ نصّ نحتمل أن يكون متلقيه صاحب ثقافة ، ومعرفة أكبر من مبدعه إلاّنصاً واحداً ، فهو غير قابل لهذا الاحتمال ، وهو النصّ القرآنيّ الكريم ، الذي يثبت مفسّروه – والصحيح مَنْ حاولوا تفسيره ويحاولون – أنّهم أمام عظمة نصّ ، لا يستطيعون معه بحال أنْ يحيطوا بكلّ ما فيه من علم ، وفكر ، ومعرفة .

إنّ معيار القبول لأيّ نصّ – سوى القرآن الكريم – مرتبط بمجموع الدلالات التي يطرحها النصّ بشرط تماسكها ، والتحامها ، وتحديدها بعيداً عن الاحتماليّة الدلاليّة ، أو عن جواز أكثر من وجه إعرابيّ ، وذلك ما يحتمله نحو الجملة ، وهو ما يكون بدوره فارقاً بين نحو الجملة ، ونحو النصّ ؛ وذلك أنْ ((تقوم المعايير النصّيّة بالمساعدة على قبول موقف دلاليّ محدّد من خلال استبعاد المتلقي للدلالة غير المرتبطة بالنصّ ، وإيمانه بالدلالة التي تنسجم ، وتتسق مع بقيّة الدلالات النصّيّة))(٢٦) . وأمّا مع النص القرآنيّ ، فإنّ الاحتمالات الدلاليّة يُمكن أنْ تكون كلّها مقبولةً ، ويتوقف ذلك على الزاوية التي ينظر منها المتلقي للنص ، والمجال العلميّ الذي يبحث من خلاله عن تفسير النص القرآنيّ ، فضلاً عن التطور الفكريّ للمجتمعات الإنسانيّة ، الذي يلقي بنقاط الضوء مع كلّ اكتشاف جديد ، أو اختراع غير

مسبوق ، فينعكس ذلك على ما جاء في الذكر الحكيم ، فيظهر فيه التوافق ، والانسجام مع المكتشَف الجديد ، أو أنْ يكون في النص ما هو في ظاهره مخالفاً للمكتشَف ، ولكنْ بالرجوع إلى اختيار مفرداته ، يُلحظ أن لا تعارض بينهما . إنّ ((اعتياد القارئ على الأعراف البلاغيّة ، واللغويّة ، والتقييدات الثقافيّة التي ينتج بها النص ، ووضوحها بالنسبة له ، يُسهم في سرعة تقبله له . فعملية القراءة تفاعل بين النص ، والخلفيّة المعرفيّة المسبقة للقارئ ، أو مخطط الذاكرة ، والتوقعات المعينة حول البنية العامة للنصوص . فالقارئ – إلى حد ما – هو المبدع المشارك لا للنص نفسه ، بل لمعناه ، وأهميته ، وقيمته))(٢٧) . والمعنى الذي يشارك القارئ في إبداعه للنص القرآنيّ الكريم ليس المعنى المطروح على سبيل الاستقصاء ، والاستنفاد ، بل المعنى الذي أظهرته القدرات العلميّة ، والثقافيّة ، بل وحتى العقدية للقارئ ، فالقرآن الكريم – كما يصفه الإمام عليّ عليه السلام - ((ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه))(٢٨) . فـ ((الحقيقة القرآنيّة التي تؤسّسها المضامين القرآنيّة العالية ، والتي تؤكدها السنة الشريفة ، هي استمرار دائرة الانطباق ، بمعنى أنّ المصاديق البارزة للنص القرآنيّ ، لا تغلق دائرة الانطباق ، وأنّ المصاديق اللاحقة لا تدخل من باب المجاز ، وإنّما هي مصاديق حقيقيّة فعليّة ... إنّ عدم انحصار دائرة الانطباق في كلّ سورة ، وآية ، وكلمة هو الحقيقة القرآنيّة الراسخة ، التي لا ينبغي التنصل عنهاأبداً ... وعدم انحصل دائرة الانطباق في النص القرآنيّ زمكانيّاً ينسجم تماماً مع حقيقة كون النص القرآنيّ مأخوذاً بنحو القضية الحقيقيّة لا الخارجيّة ، أو الشخصيّة))(٢٩) .

ولعلّ ممّا يؤكد مقبوليتهم للنصّ القرآنيّ ، وانبهارهم به ، هو كونهم أهل بلاغة ، وفصاحة ، وإذا كانواكذلك فلماذا يؤلّفون في البلاغة ، وهي فطرة فيهم ، وسجيّة لهم ؟ . فليس الأمر – فيما يبدو –إلاّ أنّ بلاغتهم ، وفصاحتهم وقفتْ عاجزة أمام بلاغة القرآن ، وفصاحته ، فما كان منهم إلاّ أنْ حاولوا محاكاة القرآن ، وتقليده ؛ ولذا فقد أكثروا من الشواهد القرآنيّة في كتبهم لكي تكون قواعد تُتبع ، وطرائق تُنتهج في تعبيراتهم ، ومؤلّفاتهم . وكانوا كثيراً ما يقارنون بين النصّ القرآنيّ الكريم ، ونصوصهم الشعريّة ، والنثريّة ، ويظهرون التفوق القرآنيّ ، سواء كان على مستوى المفردات ، أو التراكيب ، أو المعاني . وفيما يأتي بيان لمستويات هذه المقبوليّة في النص القرآنيّ الكريم :

المقبوليّة في مستوى الألفاظ / المستوى المعجميّ :

يظهر التأثير الذي أحدثه النص الكريم في المتلقين من خلال بحثهم لاستعمال مفردة في سياق معيّن ، فيرون حسن استعمالها في النصّ القرآنيّ ، كما كانوا يرون مزية استعمال المفردة القرآنيّة مقارنة باستعمالها في نصوص الشعراء ، والأدباء ، من ذلك المقارنة التي يعقدها ابن الأثير بين قوله تعالى : **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ... ﴾** (٣٠) ، وقول المتنبيّ (٣١) :

تلذّ له المروءة وهي تؤذي ومَنْ يعشق يلذّ له الغرامُ

ويبيّن تفوق المفردة في الآية الكريمة على نظيرتها في قول المتنبيّ بقوله : ((وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة ، إلاّ أنّ لفظة (تؤذي) قد جاءتْ فيه ، وفي الآية من القرآن ، فحطّتْ من قدر البيت لضعف تركيبها ، وحسن موقعها في تركيب الآية))(٣٢). ويعلّل رأيه بالترابط الموجود في الآية ، والانقطاع في البيت الشعريّ ، فقال : ((هذه اللفظة التي هي (تؤذي) إذا جاءتْ في الكلام ، فينبغي أنْ تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها ، متعلّقة به ... وقد جاءتْ في قول المتنبيّ منقطعة ، ألا ترى أنّه قال : تلذ له المروءة وهي تؤذي ، ثم قال : ومَن يعشق يلّذ له الغرامُ ، فجاء بكلام مستأنف))(٣٣). ومنها – أيضاً – مقارنتهم في استعمال مفردتين متباينتين في سياق تقابل بين المسلمين ، والكفار ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **... فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ...** ﴾ (٣٤) . فالآية الكريمة تبيّن حال المنافقين في أثناء الحرب الواقعة بين المسلمين ، والكفار ، فاستعملتْ مفردة (فتح) حين يكون الانتصار للمسلمين ، واستعملتْ مفردة (نصيب) حين يكون الأمر للكفار ، ويُعلّل الزمخشريّ ذلك ؛ بقوله : ((فإنْ قلتَ : لِمَ سمّي ظفر المسلمين فتحاً ، وظفر الكافرين نصيباً ؟ قلتُ : تعظيماً لشأن المسلمين ، وتخسيساً لحظ الكافرين ؛ لأنّ ظفر المسلمين أمر عظيم ، تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه . وأمّا ظفر الكافرين ، فما هو إلاّ حظ دنيّ ، ولمظة من الدنيا يصيبونها))(٣٥). ولعلّ ممّا يُلحظ في تعبير الآية الكريمة استعمال شبه الجملة (من الله) نعتاً للفتح للدلالة على أنّه حاصل للمسلمين بالقدرة الإلهيّة ، والمشيئة الربانيّة ، لا بقدرتهم – أي المسلمين - ، فناسب ذلك استعمال (فتح) ؛ لكونه مسنداً لله – تبارك وتعالى - . كما استعمل شبه الجملة (معكم) للدلالة على مشاركة المنافقين في المعركة بالعدد ، وليس في كونهم من عوامل النصر بما بذلوه من بسالة ، وشجاعة ، وفي سياق الكلام مع الكافرين استعمل شبه الجملة (عليكم) ، وفيها دلالة الاستعلاء ، والمنّة منهم على الكافرين ، وكأنّهم أصحاب الدور الأكبر في النصر .

المقبوليّة في مستوى التركيب :

وضع علماء النحو قواعدهم معتمدين ما ورد من كلام العرب من شعرٍ ، ونثر ، وكذلك النص القرآنيّ الكريم ، وقد خرجوا بقواعد تختص بالمعنى المطلوب عند استعمال تركيب من دون غيره . فهم قد وجدوا أنّ استعمال الجملة المنفية بـ (لا) النافية للدلالة على النفي المطلق للخبر الداخلة عليه ، وقد كان شواهدهم في ذلك من الاستعمال القرآنيّ لهذه الطريقة في النفي ، بالإضافة إلى ذلك ، فقد وجدوا أنّ الجملة الاسميّة تدلّ على الثبوت ، والدوام ، ولعلّ خير مثال قوله تعالى : ﴿**... فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (٣٦). فالآية الكريمة – وكذلك الآيات الأخرى – جاءت في سياق مدح المهتدين إلى طريق الحقّ ، والرشاد ؛ ولذا فقد جاء التركيب نافياً عنهم الخوف ، والحزن ، وذلك لأنّ طبيعة النفس البشريّة هي ميلها عن الخوف ، والحزن ، والحزن ما يحصل للإنسان من مكروه ماضٍ ،

أو حاضر ، والخوف ما يشعر به الإنسان من مكروه مستقبل . وإذا كان النص الكريم قد نفى الاثنين معاً ، فلقد استعمل لذلك أبلغ تركيب ، وترتيب ، فالله – تعالى – نفى عنهم كلّ نوع من أنواع الخوف في المستقبل ، وذلك حين استعمل النفي بـ (لا) النافية للجنس ، واستعمالها يدلّ على عموم الجنس ، وحين نفى عنهم الحزن نفى اتصافهم به بنفي الخبر عن المبتدأ ، وجاء الخبر جملة فعليّة (لا يحزنون) ، والجملة الفعليّة تأتي للدلالة على الحدوث ، والتجدّد ، فكان نفيها عن المبتدأ (هم) نفي لحدوثها ، أو تجدّدها . أمّا من ناحية الترتيب ، فقد نفى الخوف أولاً ، ثم نفى الحزن ؛ ولعلّ سبب ذلك أنّ المستقبل هو الأهم للإنسان ، فنفى وقوع المكروه فيه ، أمّا الماضي ، والحاضر ، فقد فرغ منهما ، أو قارب على الفراغ ، فنفى الأهمّ ، ثم أعقبه بنفي المهم ، وهو ما يناسب الطبيعة البشريّة .ومن المقبوليّة تقديم المفعول به على الفاعل ، وذلك في قوله تعالى : **﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ...﴾** (٣٧) ، فقد قدّم المفعول (يعقوب) على الفاعل (الموت) ، وهذا التقديم قد تكرّر عندما يكون الفاعل (الموت) ، أو أن يكون الفعل دالاً على توفي المخلوق ، ولعلّ ذلك هو ما سوّغ التقديم ، إذ إنّ قرينة ذلك قرينة عقليّة ، فلا يُتوقّع أن يكون (يعقوب) هو الذي حضر(الموت).

المقبوليّة في مستوى البلاغة :

تظهر مقبوليّة النص القرآنيّ الكريم في استعماله التراكيب التي تناسب المعنى المطلوب ، وتناسب – أيضاً – السياق الذي ترد فيه ، بالإضافة إلى ذلك ، فعند مقارنة استعمال النصّ القرآنيّ لمعنًى معيّن ، مع استعمال مستحسن عند العرب ، فقد أظهر علماء اللغة ، والبلاغة تفوق النص الكريم ، ورفعة مقبوليّته على غيره ؛ ولذا يلحظ أنّ العلماء كانوا يظهرون المزية التي في بيان القرآن الكريم ، وعلو بلاغته ، وجودة نظمه ، ((ومَن يطوف في رحاب التفاسير اللغويّة ، والبلاغيّة يجد وقفات طويلة في مفردات السور المدنيّة ، التي كان طابعها التشريع ؛ لأنّ التشريع قد عُني – أيضاً – بنفسيّة المؤمن ، ومن خلال رسم السلوك البشريّ السوي ، وإلقاء الأوامر الإلهيّة ، إذ ظهرتْ للدارسين جماليات في مناسبة المقام بمفردات تختزن طاقة وجدانيّة كبرى))(٣٨) ، من ذلك ما جاء عن بعض العلماء ، إذ قارن بين قوله تعالى : **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾** (٣٩)، مع قول العرب المأثور : القتل أنفى للقتل ، وفي ذلك يقول الرمانيّ : ((وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير ، وقد استحسن الناس من الإيجاز قولهم : القتل أنفى للقتل ، وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة ، والإيجاز ، وذلك يظهر من أربعة أوجه : أنّه أكثر في الفائدة ، أوجز في العبارة ، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة . أمّا الكثرة في الفائدة فيه ، ففيه كلّ ما في قولهم : القتل أنفى للقتل ، وزيادة معانٍ حسنة ، منها إبانة العدل لذكره القصاص ، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة ، والرهبة لحكم الله به . وأمّا الإيجاز في العبارة ، فإنّ الذي هو نظير – القتل أنفى للقتل – قوله (القصاص حياة) ، والأول أربعة عشر حرفاً ، والثاني عشرة أحرف ، وأمّا بُعده من الكلفة بالتكرير الذي

فيه على النفس مشقة ، فإنّ في قولهم : القتل أنفى للقتل تكريراً غيره أبلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك ، فهو مقصّر في باب البلاغة ...))(٤٠).

ومنه – أيضاً – استعمال مفردة معيّنة للدلالة على معًنى بلاغيّ ، لا يتحقّق المعنى المطلوب لو استعمل مفردة أخرى ، إذ إنّ المفردة أصابتْ المعنى ، ودلّتْ على الغرض البلاغيّ في الوقت نفسه ، وذلك في قوله تعالى : **﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ...﴾** (٤١). فالمفردة (عرّضتم) تشير إلى استعمال أسلوب التعريض ، المشتق من الكلمة نفسها ، ويبدو أنّ علماء البلاغة قد استعملوا هذا المصطلح البلاغيّ مستندين إلى ما جاء في هذه الآية ، فالمعنى الذي يفيده استعمال المفردة هو عدم التصريح بالخطبةللمرأة المعتدّة ، وهو ما يوحي بغاية أخلاقيّة ، تحقّقها هذه المفردة ، إذ ((بها ينهج القرآن للمؤمنين منهج الستر ، والتأدب في خطبة المرأة المعتدّة ، وهي ممنوعة من النكاح))(٤٢).

المقبوليّة والتدرج في الحكم :

درج النصّ القرآنيّ على عدم تشريع الأحكام العباديّة ، وغير العباديّة دفعةً واحدةً ، بل استعمل طريقة إنزال الأحكام على دفعات ؛ وسبب ذلك هو مراعاة حال المتلقين / المسلمين ، إذ إنّ المتلقي – خاصة في أوائل العهد المدنيّ – يستثقل تكاثر الأحكام الشرعيّة عليه ، وهو حديث عهد بالدين ، وتحكمه الأعراف الاجتماعيّة ، والقَبليّة المتأصلة في نفسه ؛ ولذا فقد استعمل النصّ الكريم –بحثاً عن المقبوليّة – طريقة التدرج في الحكم الشرعيّ ، أي أنّ الحكم الشرعيّ كان على شكل دفعات ، الغاية الأولى منها تحقيق المقبوليّة لدى المتلقين / المسلمين ، والغاية الأخيرة هي تحقيق قصد المشرِّع / الله – سبحانه وتعالى - ، فقصد منشئ النصّ هو الحكم الأخير ، وكلّ الخطوات التي اتبعها للوصول إليه سببها إيجاد المقبوليّة في نفس المتلقي . ولعلّ أصدق مثالٍ على ذلك حكم تحريم الخمر في القرآن الكريم ، فقد جاءتْ الآية الأولى تُبيّن للمسلمين المضارّ الموجودة فيه ، ولم تقطع الكلام بذلك ، بل ذكرتْ أنّ في الخمر منافع، ورجّحتْ المضارّ على المنافع ، وذلك في قوله تعالى : **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ ...﴾** (٤٣). إنّ السؤال من المتلقين في قوله (يسألونك) يحمل في ذاته نوعاً من المقبوليّة للحكم ، فهم لم يسألوا إلاّ ليعرفوا الجواب الإلهيّ من صاحب الحكمة ، وهم بسؤالهم يحكمون عقولهم على أهوائهم ؛ ولذا فالجواب يحمل مسحة عقليّة في قوله (وإثمهما أكبرمن نفعهما) ، فمَن كان يسترشد بالنصّ الكريم ترك شرب الخمر ، ولم يعاود عليه ، ولم يبقَ إلاّ أصحاب النفوس الضعيفة ، وأهل الأهواء الذين داوموا على الشرب ، ((فأسلوب الحوار ، وطريقة التخاطب التي يستخدمها الأنبياء ، وما تتضمّن من أبعاد نفسيّة ، وجماليّة ، تحمل المتلقي على الإنصات لقوة المحاجّة العقليّة ، ووضوح البيّنة ، فيقف متأثراً مفكراً في الكلام نفسه ، وفي أبعاده القصيّة التي تظلّ لصيقة بالذاكرة))(٤٤) ، إذجاءتْ الحادثة التي استدعتْ حكماً جديداً مناسباً للمقام ، فنزل قوله تعالى : **﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ وَلا جُنُبًا**

إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٤٥).
فالآية أولاً : نهتْ المسلمين عن الخمر في الوقت القريب من الصلاة (حتى تعلموا ما تقولون) ، وهذا ما يوجب على المسلم أنْ لا يشرب إلاّ الكميّة التي تبقي على وعيه عند قيام الصلاة ، وثانياً : فالآية قرنتْ شرب الخمر حدّ السكر بالحدثين : الأكبر/ الجنابة ، والأصغر/ قضاء الحاجة ؛ وفي ذلك دلالة على أنّ حال شارب الخمر في تعرّضه للنجاسات كحال مَن كانوا (جنباً) ، أو مَن جاء(من الغائط) . وإذ قد أصبحتْ الحالة النفسيّة للمسلمين –بعد أنْ تركوا شرب الخمر ، أو قلّلوا من شربه – مهيّأة للأم لهم بتركه – وهذا هو قصد النصّ –نزلتْ الآية التي حرّمته عليهم تحريماً نهائيّاً ، وذلك في قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (٤٦). فالخمر (رجس) من أوّل الخلق ، وليس من وقت نزول الآية ، ولكن البحث عن المقبوليّة لدى المتلقي هو ما أجّل البتّ بهذا الحكم إلى سورة المائدة ، التي تُعدّ من أواخر السور النازلة (٤٧) على النبيّ ﷺ ، ((فكلمة (رجس) تنمّ على إبعاد المؤمن عن أخلاقيّة دنيئة ، منشؤها معاقرة الخمر ، واتباع الأصنام ، ولعب القمار ، وهذه الكلمة من المفردات التي لم يذكرها القدامى))(٤٨)، وهذا ما يضيف إلى التحريم بعداً إعلاميّاً ، إذ استعمل كلمة لم يستعملها العرب في مثل هذا المقام .

المقبوليّة والأسلوب في الحكم الشرعيّ :

لم يستعمل النصّ القرآنيّ الكريم في كثير من الأحكام الشرعيّة الأسلوب الأمريّ المباشر ، بل استعمل طرقاً راعى فيها حال المتلقين / المسلمين ؛ ولذا فقد التمس لهم العلل الشرعيّة ، والاجتماعيّة لتكون تلك الأحكام أدعى إلى القبول لها ، والعمل بها ، من ذلك قوله تعالى : **﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾** (٤٩). يلحظ أنّه – تعالى –قد علّل الأمر بالقتال بقوله (حتى لا تكون فتنة) ، وهذه الفتنة سوف يصيب أذاها المسلمين أولاً ، ثم ذكر ثانياً (ويكون الدين لله) ، فجعل أمر الإعلاء لكلمة الله بعد الخشية من وقوع الفتنة ؛ لكونها – أي الفتنة - تمسّهم بشرّها ، فكان للعامل النفسيّ الأثر أمرهم بالقتال، فجاء الحكم الشرعيّ مراعياً حلهم ، فكان ذلك مسوّغاً لقبولهم القتال . وقد لا يستعمل أسلوب الأمر المباشر ، بل يستعمل الأسلوب الخبريّ ، وبصيغة البناء للمجهول – خاصة في الأحكام التي فيها من الثقل ، والتكليف عليهم - ؛ لأجل الاهتمام بالحدث الفعليّ في الآية دون النظر إلى صاحبه ، من ذلك قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ**

فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥٠)، فيلحظ استعمال الفعل (كُتِب) ، الذي يوحى لفظه بالوجوب ، ولكن بأسلوب ليّن ؛ لأنّ الأمر يتعلّق بالقصاص في القتل ، وهو ما يحمل من المشقّة على المسلمين ، فاستعمل صيغة البناء للمجهول ، التي تركز على الحدث الكلاميّ من دون النظر إلى محدثه ، كما يلحظ أنّه حين ذكر أمر العفو صرّح بذكر الله تعالى عن طريق وصفه بـ (ربّكم) ، التي تدلّ على سابق فضله عليهم ، وإحسانه إليهم ، فقال (فمَن عُفي له من أخيه من شيء اتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربّكم). ومثله قوله تعالى : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** (٥١) ، وقد قرن العمل بالحكم الشرعيّ بتحفيزهم عليه، وذلك بأن جعل العمل للأمر (حقّاً على المتقين) ، فكان ذلك التحفيز موجباً لهم أن ينفّذوا حكم الوصية – إن كانوا من المتقين - ، وقوله تعالى : **﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (٥٢)، إذ جعل الحكم الشرعي هيّناً ؛ وذلك بكونه ليس أمراً مفروضاً على المسلمين فقط ، بل هو حكم قد سرى على الأمم الماضية ، ثم أعقبه بالتعليل له بقوله (لعلّكم تتقون) ، وقوله تعالى : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾** (٥٣)، وقد حاولتْ الآية الكريمة مراعاة حال الإنسان المسلم ، بأنْ أفصحتْ عن دواخله تجاه قضية القتال ، فقال (وهو كره لكم) ، ثم أراد أن يبيّن لهم لِمَ يحملهم على أمرٍ ، هو كره لهم ، فعلّله بقوله (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) ، فكان ذلك تخفيفاً نفسيّاً لهم . ورغّب المسلمين في إعطاء الصدقات ، فلم يستعمل الأسلوب الأمريّ ، بل استعمل أسلوب الاستفهام الباحث عمّن يعطي الدَين لله تبارك وتعالى – وهو الذي بيده ملكوت كلّ شيء –تحفيزاً لهم على التصدّق على الفقراء ، والمحتاجين ، فقال - عزّمَن قال - : **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** (٥٤). فقد استعارتْ الآية الكريمة لفظ (الإقراض) في الإتيان بالصدقة ، وكأن المتصدّق يقرض صاحب عوز – وهو مالك الملك – على اتفاقٍ بينهما أن يرجعه له حين ميسرة ، ثمّ حفّز المتصدّق بأن جعل قرضه / المستعار ، يُعاد إليه (أضعافاً كثيرة) ، فكان العمل بالصدقة شرفاً للمتصدِّق أولاً ؛ كون إقراضه مع الله تعالى ، وثانياً ستكون فائدة الصدقة المضاعفة لها في الدنيا ، والآخرة .

المقبوليّة والقراءات القرآنيّة : وضع علماء القراءات ضوابط لتمييز القراءة الصحيحة من غيرها ، وينقل ابن الجزريّ الشروط التي وضعوها للقراءة الصحيحة ، وهي ((كلّ قراءة وافقتْ العربيّة ولو بوجه، ووافقتْ المصاحف العثمانيّة ولو احتمالاً ، وصحّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ، ولا يحلّ إنكارها))(٥٥). إنّ البحث في القراءات القرآنيّة يرتبط بطريقة ، أو بأخرى بمبحث المقبوليّة ، فـ ((القراءات السبع اختيارات أولئك القراء ، فإنّ كلّ واحد اختار فيما روى ، وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن عنده ، والأولى ، ولزم طريقة منها ، ورواها ، وقرأ بها ، واشتهرتْ عنه ،

وتُسبث إليه))(٥٦) ، فقد اختلف قرّاء القرآن فيما بينهم ، وكلّ واحد منهم رأى صحة قراءته بمقدار فهمه / مقبوليته للنص ، وقد علّل ابن مجاهد هذا الاختلاف بقوله : ((اختلف الناس في القراءة كما اختلفوا في الأحكام ، ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة ، والتابعين ؛ توسعةً ، ورحمةً للمسلمين))(٥٧) . وقد يُخطّئ بعض القراء بعضاً معتمدين في ذلك أسباباً ، بعضها يمتّ إلى عقيدة المخطّئ ، وبعضها ينظر إلى الاستعمال اللغويّ ، من ذلك ما نقله الزركشيّ في قراءة قوله تعالى : **﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾** (٥٨)، إذ نقل أنّ بعضهم ((قال : أكره التأنيث لما فيه من موافقة دعوى الجاهليّة في زعمها أنّ الملائكة إناث ، وكذلك كره بعضهم قراءة مَن قرأ بغير تاء ؛ لأنّ الملائكة جمع))(٥٩) . فالذي يلحظ أنّ المخطّئ الأول رفض القراءة – بتاء التأنيث - ؛ لأنّ ذلك سيكون موافقاً لما أدّعاه الكفار من أنّ الملائكة إناث ، وهنّ بنات الله ، فأراد أن يغيّر قراءته على الرغم من وجود التاء في الرسم القرآنيّ؛ لدفع توهم أن يكون المعنى موافقاً لزعم مشركٍ ، وهذا ما يدلّ على الاجتهاد من القارئ عند تلقيه للنصّ القرآنيّ ، فيقرأه بالمنظور المعرفيّ العقديّ الذي آمن به ، في حين أنّ القارئ الآخر يرفض تلك التخطئة ، ويرى أنّ قواعد اللغة تلزم القراءة بالتاء . ويعقّب الزركشيّ بقوله : ((وهذا كلّه ليس بجيّد ، والقراءتان متواترتان ، فلا ينبغي أنْ تُردّ إحداهما ألبتّة ، وفي قراءة عبدالله (فناداه جبريل) ما يؤيّد أنّ الملائكة مراد به الواحد))(٦٠) ، ولم أجد هذه القراءة في كتب القراءات (٦١). ولعلّ ممّا يلحظ في نصّ الزركشيّ المتقدّم أن القارئ – عبدالله – قد قرأ النصّ بمنظار المعنى الذي يعطيه لفظ (الملائكة) ، وفي ذلك تعطيل للضوابط التي وضعوها للقراءة . وقد كان للمذاهب الكلاميّة أثر في القراءات ، ففي قوله تعالى : **﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ...﴾** (٦٢)، ((يقف الأشاعرة عند (الراسخون في العلم) على حين يقف المعتزلة عند (يقولون)))(٦٣)، وفي ذلك يقول الزمخشريّ : ((ومنهم مَن يقف على قوله (إلاّ الله) ، يبتدئ (والراسخون في العلم يقولون) ، ويفسّرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه ، وبمعرفة الحكمة فيه من آياته ، كعدد الزبانية ، ونحوه ، والأول هو الوجه))(٦٤) . ولعلّ ممّا يلحظ أنّ بعض العلماء يجوّز القراءات المتعدّدة للنص القرآنيّ ، إنْ كانتْ موافقة للشروط التي وضعوها للقراءة الصحيحة ، وإن كان فيها بعض الفوارق الدلاليّة ، من ذلك ما يراه الأخفش –مثلاً – في بعض المواضع من جواز قراءة الفعل بالبناء للمعلوم ، أو المجهول ، وذلك في قوله تعالى : **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ﴾** (٦٥) ، فيقول في ذلك : ((وقال بعضهم (يُغلّ) ، وكلّ صواب والله أعلم ؛ لأنّ المعنى : أن يخون ، أو يُخان))(٦٦).

إنّ الاختلاف في القراءات القرآنيّة يؤدّي في كثير من الحالات إلى الاختلاف في الأحكام الفقهيّة المترتبة على كيفيّة القراءة ، وهو دليل على مقبوليّة كلّ قوم للمعنى بمقدار تلقيه لذلك المعنى المستنبط من القراءة ، وكلّ بحسب ثقافته اللغويّة ، والفقهيّة ، بل وحتى مذهبه الكلاميّ الذي يعتقده ، ولذا يلحظ أنّ

الزمخشريّ يرى في قوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...**﴾ (٦٧) ، أنّ حكم الأرجل الغسل ، فقال : ((قرأ جماعة (وأرجلكم) بالنصب ، فدلّ على أنّ الأرجل مغسولة ، فإنْ قلتَ : فما تصنع بقراءة الجرّ ، ودخولها في حكم المسح ؟ قلتُ : الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة ، تُغسل بصبّ الماء عليها ، فكانتْ مظنّة للإسراف المذموم المنهي عنه ، فعطفتْ على الثالث الممسوح لا لتمسح ، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها))(٦٨) . فالزمخشريّ يعلم أنّ القراء السبعة قد انقسموا إلى قسمين ، ((فقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو : (وأرجلِكم) خفضاً . وقرأ نافع وابن عامر والكسائيّ : (وأرجلَكم) نصباً . وروى أبو بكر عن عاصم (وأرجلِكم) خفضاً . وروى حفص عن عاصم (وأرجلَكم) نصباً))(٦٩) ؛ ولذا حاول أن يوجد منزلة وسطاً بين دلالتَي القراءتين .

المحكم والمتشابه بين القصديّة والمقبوليّة :

جاء التصريح في النصّ الكريم أنّ آياته تنقسم إلى قسمين : محكم ، ومتشابه ، قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ (٧٠) . والذي يظهر من صريح الآية أنّ المحكمات هي ما كان القصد فيها واضحاً محدّداً ، لا يقبل التعدّد في الرأي على الرغم من أنّ العلماء في علوم القرآن قد ذكروا آراء فيه ، فالزركشيّ يرى أنّ المحكم في الاصطلاح هو ((ما أحكمته بالأمر ، والنهي ، وبيان الحلال ، والحرام ... وقيل : هو الذي لم يُنسخ ... وقيل : هو الناسخ ، وقيل : الفرائض ، والوعد ، والوعيد . وقيل : الذي وعد عليه ثواباً ، أو عقاباً ، وقيل : الذي تأويله تنزيله بجعل القلوب تعرفه عندسماعه ... وقيل ما لا يحتمل في التأويل إلاّ وجهاًواحداً ، وقيل : ما تكرّر لفظه))(٧١) . أمّا المتشابه ، فهو ((أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني ... وقيل : ما يحتمل وجوهاً ... وقيل : ما لا يستقلّ بنفسه إلاّ بردّه إلى غيره))(٧٢). من الكلام المتقدّم يمكن التوصّل إلى أنّ الآيات المحكمة آيات ليس للمسلم أنْ يتأوّلها ، أو أن يبحث في أكثر من معنًى فيها ، فالمعنى فيها مقصود من الله تعالى ، ولا يجوز للمسلمين الانحراف عنه بتأويله . أمّا الآيات المتشابهة ، فقد اختلف العلماء في قراءة الآية ، أيكون الوقف على قوله (إلاّ الله) ، أم يكون على قوله (والراسخون في العلم). وهذا الوقف سيحدّد إن كان معنى الآيات مقصوراً على الله تعالى فقط ، ((وأنّ الله تعبّد من كتابه بما لا يعلمون – وهو المتشابه – كما تعبّدهم من دينه بما لا يعقلون – وهو التعبدات -))(٧٣) . أمّا مَن رجّح أنّ الواو في (والراسخون في العلم) للعطف ، فقد رأى أنّ معنى الآيات المتشابه يعلم تأويلها مَن وصفهم بالرسوخ في العلم ؛ ((لأنّ الله تعالى لم يكلّف الخلق بما لا يعلمون ، وضُعّف الأول ؛ لأنّ الله لم ينزّل شيئاً من القرآن إلاّ لينتفع به عباده ، ويدلّ به على معنًى أراده ... فإنْ قيل : كيف يجوز في اللغة أن يعلم الراسخون ،

والله يقول (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) ، وإذا أشركهم في العلم انقطعوا عن قوله (يقولون) ؛ لأنه ليس هنا عطف حتى يوجب للراسخين فعلين ؟ قلنا : إنّ : (يقولون) هنا في معنى الحال ، كأنه قال (والراسخون في العلم) قائلين آمنّا))(٧٤) . إنّ منتج النصّ يقصد معًى يريد إيصاله إلى السامع ، أو القارئ ، ولكن هل القارئ حرّ في أن يتجاوز قصد المتكلّم ، فيذهب في المعنى حيثما يريد . إنّ المفردات ، والتراكيب المستعملة في النصّ تقيّد القارئ إلى حدّ ما في تحديد المعنى المطلوب من النصّ ، وليس للقارئ أن يحمّل منتج النص ما لم يُرد قوله . وإذا كان القارئ للنصّ الأدبيّ – غير القرآن – بحكم أدبيّة النص ، حرّاً في تحميل النصّ المعاني التي يراها بحسب ثقافته ، ومنهجه ، والمدرسة الأدبيّة ، أو النقديّة التي ينتمي إليها ، وهو ما انسحب إلى خلاف في هدف النصّ ، فـ ((هل هدف النص هو الوصول إلى معناه ، أم مغزاه ، أم تحقيق متعة ، أم الوصول إلى التفسير موجّه المعنى ، أم إشباع نفسيّ ؟ إلى آخر تلك المحاور التي أفرزها الخلاف حول الثنائيّة المعروفة القارئ – النصّ))(٧٥). فإنّ النصّ القرآنيّ – لقداسته – لا يحتمل ، أو لا يجوز الحكم عليه بمثل تلك الآراء ، والمناهج ؛ ولذا فيجب الانطلاق من المسلمات العقديّة عند محاولة تفسير النصّ الكريم . إنّ ((النصّ عالم دلالات ، وبنيات ، يتمّ إنتاجها من خلال النصّ ، كما تتجلى من خلال الكاتب ، والقارئ . ولا شكّ أنّ إنتاج النصّ مرتبط بزمنٍ محدّد ، أمّا تلقيه ، أو التأثير الذي يحدثه ، فلا يرتبط بزمان بعينه ، بل تحدث العمليّة في أزمنة عدّة ، وتظلّ تنتج تفسيرات تتعدّد بتعدّد القراءات))(٧٦) .

الخاتمة :

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ معيار المقبوليّة ، الذي تحقّق وجوده في النصّ القرآنيّ الكريم ، قد كان للعرب معرفة بمفهومه ، إذ إنّهم- في دراساتهم النقديّة ، والبلاغيّة - كثيراً ما كانوا يطالبون منتج النصّ بمراعاة مقتضى الحال ، فيكون قبولهم لنصّه مرتبطاً بمدى تلك المراعاة ؛ ولذا فقد كانوا يُشكلون على بعض الشعراء في تحقّق ذلك . وكذلك يُعدّ التزام منتج النصّ بالقواعد اللغويّة ، والبلاغيّة ، فضلاً عن تجسيده للأعراف الاجتماعيّة السائدة للمجتمع في النصّ ، كلّ ذلك مظهر من مظاهر مقبوليّة النصّ . ولعلّ في عدم استجابة العرب للتحدّي الذي صرّح به النصّ الكريم في مواضع عدّة من أهمّ الأدلّة على مقبوليتهم له ؛ بسبب انبهارهم بنظمه ، وهو ما أدّى بهم إلى العكوف عليه حفظاً ، ودراسة ، وتفسيراً ، واستعمالاً لآياته كشواهد في مؤلّفاتهم اللغويّة بكلّ مستوياتها (الصوتيّة ، والصرفيّة ، والنحويّة ، والبلاغيّة ، والمعجميّة) . ويبدو أنّ ارتباط المقبوليّة بمتلقي النصّ هو ما دعا إلى اعتماد بعض الأساليب في توجيه المسلمين ، وتنظيم حياتهم ،فلم تكن الأحكام الشرعيّة نازلة في سورة واحدة ، بل قد توزّعتْ على طول المدّة الزمنيّة في العهد المدنيّ . كما يلحظ أنّ الحكم الشرعيّ الواحد قد رُوعي فيه حال المتلقين ، فاستعمل أسلوب التدرج في الحكم تطبيقاً لهذه المراعاة . فضلاً عن ذلك ، فقد كان أسلوب التوجيه التشريعيّ للمسلمين يستعمل في الطلب –أحياناً –جملاً خبريّة ، أي أنّها أمر غير مباشر ، وفي

ذلك تخفيف لثقل الحكم الشرعيّ النازل إليهم ، وكذلك قد يشفع الحكم بتعليل لسببه ، أو بالإخبار لهم بتشريع الحكم لمَن سبقهم ، وهم في ذلك تبع لهم . ولعلّ من مظاهر المقبوليّة القراءات القرآنيّة ، فقد تعدّدتْ القراءات ، ووصل الأمر ببعضها إلى حدّ الاختلاف في المعنى المبني على القراءة ، ومع ذلك فقد أجيزتْ القراءات حتى قُبل أربع عشرة قراءة . وكلّ ذلك مرجعه غنى النصّ القرآنيّ الكريم بالمعاني الكثيرة ، التي يُمكن أن تكون كلّها مقبولة ، وهذا إنْ دلّ على شيء ، فإنّما يدلّ على عمق النصّ ، ومواكبته لكلّ زمان .

الهوامش :

(١) ينظر : كتاب العين : ٥ /١٦٦– ١٦٨ ، وتاج اللغة وصحاح العربيّة : ٤ / ١٠٨٠ / ومعجم مقاييس اللغة : ٢ /٣٨٣ ، وأساس البلاغة : ٤٩٢ – ٤٩٣ ، ولسان العرب : ٣ / ٣١٢٣ – ٣١٢٩ ، والقاموس المحيط : ٩٦٣ – ٩٦٤ .
(٢) التعريفات : ١٨٢ – ١٨٣ .
(٣) الكليات : ٦١٦ .
(٤) كشّاف اصطلاحات الفنون : ٣ / ٥٤٣ .
(٥) كشاف اصطلاحات الفنون : ٣ / ٥٤٣ .
(٦) معجم اللغة واللسانيّات : ١٤ .
(٧) المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص ، وتحليل الخطاب : ١٢٦ .
(٨) ينظر : استقبال النصّ عند العرب : ١٣٢ .
(٩) المنهجيّة الأصوليّة والبحث البلاغيّ : ١٤ .
(١٠) ينظر : البلاغة والتطبيق : ١١ .
(١١) البلاغة وتحليل الخطاب : ١٨٥ – ١٨٦ .
(١٢) جماليات المفردة القرآنيّة : ٢٩ – ٣٠ .
(١٣) كتاب الحيوان : ٢ / ٢٨٦ . وينظر : استقبال النصّ عند العرب : ١٢٣ .
(١٤) بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ٧٠ . وينظر : استقبال النصّ عند العرب : ١٦ .
(١٥) ينظر : الإبلاغيّة في الشاهد البلاغيّ : ٢١ .
(١٦) سورة الرعد : ٣١ .
(١٧) بيان إعجاز القرآن : ٥٢ .
(١٨) إعجاز القرآن : ٨٤ . وينظر : القصديّة في الخطاب القرآنيّ : ١١٨ .
(١٩) أسرار البلاغة : ١٠٨ . وينظر : استقبال النصّ عند العرب : ٣٧ .
(٢٠) الرسالة الشافيّة ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ١١٧ .
(٢١) كذا ، والصحيح : الرئيسة .
(٢٢) البلاغة والأسلوبيّة : ٢٤٢ .
(٢٣) النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .
(٢٤) ينظر : الدرس النحويّ النصيّ : ١٥٨ .
(٢٥) سورة الأنعام : ٣٨ .
(٢٦) نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ : ٨٨ .
(٢٧) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق :٣٤ . وينظر : نظرية النص ، رؤية منهجيّة في بناء النص النثريّ :٥٠.
(٢٨) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١ / ١٩٥ . وينظر : شرح نهج البلاغة ، محمد عبده : ٥٤ ، منطق فهم القرآن : ١ / ٤٣٢ .
(٢٩) منطق فهم القرآن : ١ / ٤٣٢ .
(٣٠) سورة الأحزاب : ٥٣ .

(٣١) ينظر : شرح ديوان المتنبيّ : ٤ / ١٩٥ .
(٣٢) المثل السائر : ١ / ١٥٢ ــ ١٥٣ .
(٣٣) المصدر نفسه : ١ / ١٥٣ .
(٣٤) سورة النساء : ١٤١ .
(٣٥) تفسير الكشاف : ١ / ٥٦٦ .
(٣٦) سورة البقرة : ٣٨ . وقد تكرّر هذا التركيب في البقرة : ٦٢ ، ١١٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ؛ وسورة آل عمران : ١٧٠ ؛ وسورة المائدة : ٦٩ .
(٣٧) سورة البقرة : ١٣٣ . ومثلها في البقرة : ١٨٠ ، وسورة النساء : ١٨ ، وسورة المائدة : ١٠٦ ، وسورة الأنفال : ٥٠ .
(٣٨) جماليات المفردة القرآنيّة : ٢٧ .
(٣٩) سورة البقرة : ١٧٩ .
(٤٠) النكت في إعجاز القرآن : ٧٧ ــ ٧٨ .
(٤١) سورة البقرة : ٢٣٥ .
(٤٢) جماليات المفردة القرآنيّة : ٢٧٢ .
(٤٣) سورة البقرة : ٢١٩ .
(٤٤) استقبال النصّ عند العرب : ١٦ .
(٤٥) سورة النساء : ٤٣ .
(٤٦) سورة المائدة : ٩٠ .
(٤٧) البرهان في علوم القرآن : ١ / ١٤٠ .
(٤٨) جماليات المفردة القرآنيّة : ٢٦٤ .
(٤٩) سورة البقرة : ١٩٣ ــ ١٩٤ .
(٥٠) سورة البقرة : ١٧٨ .
(٥١) سورة البقرة : ١٨٠ .
(٥٢) سورة البقرة : ١٨٣ .
(٥٣) سورة البقرة : ٢١٦ .
(٥٤) سورة البقرة : ٢٤٥ .
(٥٥) النشر في القراءات العشر : ١ / ٩ .
(٥٦) البرهان في علوم القرآن : ١ / ١٦٢ .
(٥٧) السبعة في القراءات : ٤٥ .
(٥٨) سورة آل عمران : ٣٩ .
(٥٩) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٢٣٩ .
(٦٠) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
(٦١) ينظر : السبعة في القراءات : ٢٠٥ ، والتذكرة في القراءات : ٢١٨ ــ ٢١٩ ، والعنوان في القراءات السبع : ٧٩ ، والنشر في القراءات العشر : ٢ / ٢٣٩ .
(٦٢) سورة آل عمران : ٧ .
(٦٣) التأويل وقراءة النصّ : ١٤٧ .
(٦٤) تفسير الكشاف : ١ / ٣٣٣ .
(٦٥) سورة آل عمران : ١٦١ .
(٦٦) معاني القرآن ، الأخفش : ١٤٩ .
(٦٧) سورة المائدة : ٦ .
(٦٨) تفسير الكشاف : ١ / ٥٩٨ ـ ٥٩٩ .
(٦٩) السبعة في القراءات : ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .
(٧٠) سورة آل عمران : ٧ .
(٧١) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٥ ــ ٤٦ . وينظر : الاتقان في علوم القرآن : ٢ / ٣ ــ ٤ .
(٧٢) المصدر نفسه : ٢ / ٤٦ .

(٧٣) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٧ – ٤٨ .
(٧٤) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٧ - ٤٨ .
(٧٥) علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات : ١٨٣ . وينظر : معايير القبول والردّ لتفسير النصّ القرآنيّ : ١١١ .
(٧٦) علم لغة النصّ ، المفاهيم والاتجاهات : ١٨٦ . وينظر : معايير القبول والردّ : ١١٣ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطيّ – ضبطه وصححه وخرّج آياته : محمد سالم هاشم – ط ٢ – منشورات ذوي القربى – قم – ١٤٢٩ هـ .

أساس البلاغة – جار الله الزمخشريّ – قراءة وضبط وشرح : محمد نبيل طريفي – ط ١ – دار صادر – بيروت – ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

استقبال النص عند العرب – محمد المبارك – ط ١ – المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر – بيروت – ١٩٩٩ م .

أسرار البلاغة في علم البيان – عبدالقاهر الجرجانيّ – تحقيق : عبدالحميد الهنداويّ – ط ١– دار الكتب العلميّة – بيروت – ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشيّ – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – (د . ط) – المكتبة العصريّة – بيروت – ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

البلاغة والأسلوبيّة – محمد عبد المطلب – ط ٣ – الشركة المصريّة العالميّة للنشر – القاهرة – ١٩٩٤ م .

البلاغة وتحليل الخطاب – حسين خالفي – ط ١ – منشورات الاختلاف ، دار الفارابيّ – الجزائر ، بيروت – ٢٠١١ م .

البلاغة والتطبيق – أحمد مطلوب ، وكامل حسن البصير – ط ٢ – مكتبة اللغة العربيّة – بغداد – ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – أبو سليمان الخطابيّ – تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام – ط ٣ – دار المعارف – القاهرة – (د . ت) .

التأويل وقراءة النص في دراسات الإعجاز ، دراسة في الهومينوطيقيا الأدبيّة الإسلاميّة – سرحان جفات- ط ١ – دار الينابيع – السويد – ٢٠١٠ م .

تاج اللغة وصحاح العربيّة – إسماعيل بن حماد الجوهريّ – اعتنى بها مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربيّ – ط ٥ – دار إحياء التراث العربيّ – بيروت – ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

التذكرة في القراءات – طاهر بن عبد المنعم بن غلبون – تحقيق : سعيد صالح زعيمة – ط ١ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

التعريفات – علي بن محمد الجرجانيّ – ط ١ – دار إحياء التراث العربيّ – بيروت – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

📖 تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله الزمخشريّ – رتّبه وضبطه : محمد عبد السلام شاهين – ط ٥ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ٢٠٠٩ م .

📖 جماليات المفردة القرآنيّة – أحمد ياسوف – ط ٢ – دار المكتبيّ للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

📖 الحيوان – أبو عثمان الجاحظ – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – ط ١ – دار إحياء التراث العربيّ – بيروت – ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

📖 الدرس النحويّ النصيّ في كتب إعجاز القرآن – أشرف عبد البديع عبد الكريم – (د . ط) – مكتبة الآداب – القاهرة – ٢٠٠٨ م .

📖 الرسالة الشافية ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – عبد القاهر الجرجانيّ – تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام – ط ٣ – دار المعارف – القاهرة – (د . ت) .

📖 السبعة في القراءات – ابن مجاهد – تحقيق : شوقي ضيف – ط ٤ – دار المعارف – القاهرة – ٢٠١٠ م .

📖 شرح ديوان المتنبّيّ – عبد الرحمن البرقوقيّ – (د . ط) – دار الكتاب العربيّ – بيروت – (د . ت) .

📖 شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد المعتزليّ – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط ١ – المكتبة المصريّة – بيروت – (د . ت) .

📖 شرح نهج البلاغة – محمّد عبده – خرّج مصادره : فاتن محمّد خليل اللبون – ط ١ – مؤسسة التأريخ العربيّ – بيروت – (د – ت) .

📖 علم لغة النصّ ، المفاهيم والاتجاهات – سعيد حسن بحيريّ – ط ٢ – مؤسسة المختار – القاهرة – ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

📖 علم لغة النصّ ، النظرية والتطبيق – عزّة شبل محمد – ط ١ – مكتبة الآداب – القاهرة – ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

📖 العنوان في القراءات السبع – أبو طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ – تحقيق : زهير غازي زاهد ، خليل إبراهيم العطية – ط ٢ – مؤسسة المنار – النجف الأشرف – (د . ت) .

📖 القاموس المحيط – مجد الدين الفيروز آبادي – إعداد : محمد عبد الرحمن المرعشليّ – ط ٢ – دار إحياء التراث العربيّ – بيروت – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

📖 كتاب العين – الخليل بن أحمد الفراهيديّ – تحقيق : مهدي المخزوميّ ، إبراهيم السامرّائيّ– (د . ط) – دار الرشيد للنشر – بغداد – ١٩٨٢ م .

📖 كشّاف اصطلاحات الفنون – محمد بن علي التهانويّ – وضع حواشيه : أحمد حسن بسج – ط ٣ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .

📖 الكليّات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة – أبو البقاء الكفويّ – تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصريّ – ط ١ – منشورات ذوي القربى – قم – ١٤٣٣ هـ .

📖 لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور – مراجعة وتدقيق : يوسف البقاعيّ ، إبراهيم شمس الدين ، نضال علي – ط ١ – مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات – بيروت – ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

📖 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ابن الأثير – تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد– (د . ط) – المكتبة العصريّة – بيروت – ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

📖 المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، دراسة معجميّة – نعمان بوقرّة – ط ١ – عالم الكتب الحديث ، دار جدرا للكتاب العالميّ – إربد ، الأردن – ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م .

📖 معاني القرآن – سعيد بن مسعدة الأخفش – قدّم له وعلّق عليه ووضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين – ط ١ – دار الكتب العلميّة – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

📖 معايير القبول والردّ لتفسير النصّ القرآنيّ – عبد القادر محمد الحسين – ط ٢ – دار الغوثانيّ للدراسات القرآنيّة – دمشق – ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .

📖 معجم اللغة واللسانيات – هاتمان وستورك – ترجمة : توفيق عزيز عبد الله ، مروان محمد حسن ، أوس عادل عبد الوهاب – ط ١ – دار المأمون للترجمة والنشر – بغداد – ٢٠١٢ م .

📖 معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس – وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين – ط ٢ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م .

📖 منطق فهم القرآن ، الأسس المنهجيّة للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسيّ – السيد كمال الحيدريّ – ط ١ – دار فراقد للطباعة والنشر – قم – ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .

📖 المنهجيّة الأصوليّة والبحث البلاغيّ – سعيد النكر – ط ١ – عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع – إربد ، الأردن – ٢٠١٢ م .

📖 نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ – أحمد عفيفيّ – ط ١ – مكتبة زهراء الشرق – القاهرة – ٢٠٠١ م .

📖 النشر في القراءات العشر – محمد بن محمد ابن الجزريّ – تصحيح ومراجعة : علي محمد الضباع – (د . ط) – دار الكتب العلميّة – بيروت – (د . ت) .

📖 النص والخطاب والإجراء – روبرت دي بوجراند – ترجمة : تمام حسان – ط ١ – عالم الكتب – القاهرة – ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

📖 نظرية علم النص ، رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ – حسام أحمد فراج – ط١ – مكتبة الآداب – القاهرة – ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

📖 النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – علي بن عيسى الرمانيّ – تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام – ط ٣ – دار المعارف – القاهرة – (د . ت) .

الرسائل الجامعيّة والأطاريح والبحوث :

📖 الإبلاغيّة في الشاهد البلاغيّ ، دراسة وتحليل – نادر عبد الرحمن محمد الوقفيّ – أطروحة دكتوراه – الدراسات العليا – جامعة مؤتة – ٢٠٠٧ م .

📖 القصديّة في النص القرآنيّ – زهراء جياد عباس البرقعاويّ – رسالة ماجستير – كلية الآداب– جامعة الكوفة – ٢٠٠٩ م .

Acceptability in the Quranic discourse , An applied study on Madaniyah surahs

Acceptability is the sixth standard of the standards of sexuality and it refers to the attitude of the receiver when he hears or reads a text . The receiver would either accepts or rejects a text , his acceptance or rejection depends on the degree of commit men on the part of the text producer in respecting and observing the other textual standards especially the standards of cohesion and coherence before the revelation of Quran , Arabs used to identify the acceptability of a text through the degree of harmony between the discourse and the situation . But after the Quran was revealed , the focus of attention in this regard shifted to finding the rhetorical aspects ,attempting to understand the glorious text and it s interpretation in order to show the aesthetic and miraculous aspects of it . The Quranic texts differs from other literary text in that. The latter s standard of acceptability is interrelated with the all denotations that the text presents provided that they are interrelated and identified a part from the semantic probability while the Quranic text , all semantic probabilities can be acceptable , depending on the angle from which the receiver considers the text and the scientific field that he studies let alone the knowledge and his religious , national and sectarian affiliations .The adherence of the text producer to the linguistic and rhetorical rules and his embodiment of the social traditions prevalent in society with in his text would contribute and are regarded manifestations of text acceptability . so when the text producer manages to fulfill these requirements and comes up with a well – composed text that admires the receivers and arise their interest in it as is the case with the Quranic text this would surly increase the acceptability level of his text . According , receivers would devote themselves to learn by heart and study the ayahs (verses)and use them as model examples in grammar and rhetoric .Among the other manifestations of acceptability in the Quranic text is

that the glorious text takes into account the status of the receiver and this can be Cleary seen through the gradual revelation of rules and regulations for organizing life of moslem individuals and society . A single legislation takes into account the social and psychological status of the receivers so that legislations were issued in a gragual way in order to ensure that the receivers would accept them gradually .Besides , the language style used in issuing legislations was a ware of the status of it s receivers , therefore , we find that indirect orders are used once , orders with justification for issuing it anther , but occasionally the reason given behind issuing the order is to follow suit of the people before them . One of the manifestations of acceptability , too . is their different readings of the text which were all accepted by them despite their clear differences due to the fact that the glorious text is rich in meanings that no human being is able to explore and understand them all .The Quranic readings were example of the acceptability of each reader according to his knowledge and his linguistic ability .